وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات القرآن الكريم في التعايش السلمي

اسم الباحث/ـة

أ.د/ كرم حلمي فرحات أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه

أما بعد..

فإن المتأمل في مصطلح "التعايش السلمي" يدرك أن البشرية بفآتها المتباينة تتأرجح بين السلم والحرب، ونحن في وقتنا الحاضر في أمس الحاجة للرجوع إلى القرآن الكريم لمعرفة سبل التعايش الذي يعتبر المفهوم الأوسع والأهم لبناء مجتمع سليم قائم على المودة والوئام بين أفراده، بغض النظر عن جنسهم ومعتقدهم وثقافتهم.

تعتبر هدايات القرآن الكريم بابًا مِن أعظم أبواب العلم والخير جديرٌ بأن نهتم به ،مما يُسهم في تحقيقِ شيءٍ من أعظم مقاصد نزول القرآن؛ فكتاب الله تعالى جاء بالهدى والنور ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (١)ومِن أظهر أوصافه أنَّه كتاب هداية: قال تعالى في وصفه: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) ، وقال في معرض ذكر مقاصد تنزيله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٣)، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (٤)، بل وصَفَه الجنُّ حين استمعوا إليه بأنَّه كتاب هداية فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (٥).

فالهدايات القرآنية هي أعظم الهدايات وأقومُها ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٦) ، فمن اهتدى بما فيه كان أكملَ الناس علمًا

(١)المائدة:الآيتان : ١٥-١٦.

(٢)البقرة: الآية ٢.

(٣)النحل:الآية ١٠٢.

(٤)فصلت:الآية ٤٤.

(٥)الجن:الآيتان ١-٢.

(٦)الإسراء:الآية ٩.

وعملاً وخُلُقًا وسيرة، وقد كان وصف الكمال في خُلُق النبي ﷺ أنه امتثل القرآن واهتدى به حتى كان سجيَّته؛ وذلك حين سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق النبي ﷺ فقالت للسائل: «ألستَ تقرأ القرآن؟ » قال: بلى، قالت: «فإن خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن» (١).

فالثمرة من تتبُّع الهدايات القرآنية فى التعايش السلمي هي إخراجُ المستهدي بها من الظلمات إلى النور، وهدايتُه إلى التي هي أقوم في الاعتقادات والعبادات والمعاملات.

يعتبر التعايش السّلمي قيمة محورية تندرج تحت المقصد العامّ من التّشريع وهو حفظ نظام المجتمع. واستدامة صلاح هذا النّظام مرهونة بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان، حيث أنّه أحد الأركان الأساسيّة لبناء الحضارة والعمران .ورغم اتهامات الحاقدين على بلاد الإسلام والمسلمين، إلا أن المجتمع الإسلامي عاش يسوده مبدأ الرضا والتسامح ، ويجمع بين أبنائه وفئاته التعاطف والسلام والأمن والاطمئنان أيا كانت معتقدات هذه الفئات، وأياً كانت اتجاهاتهم السياسية والفكرية، بعيداً عن العنف والإرهاب، تحت مظلة قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾(٢) ومن هذا المنطلق كان اختيار موضوع البحث، هدايات القرآن الكريم في التعايش السلمي .

الهدف من البحث:الاطلاع على ماجاء فى القرآن الكريم من آيات تتعلق بموضوع التعايش السلمى ،وإضافة بحث جديد تحت إطار هدايات القرآن

(١) صحيح مسلم ،للإمام مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت) حديث رقم (٧٤٦).

(٢)المائدة:الآية ٢.

والتدبر فيه والتأكيد على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان . وبيان أهمية التعايش السلمي كمقصد قرآني وقيمة حضارية رفيعة، ، وبيان ما قدمه الإسلام للبشرية من تعايش سلمى إيجابي بين الأمم والشعوب.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث فى تناول آيات قرآنية لموضوع التعايش السلمي وبيان مدى حاجة العالم إلى الفهم الصحيح لماهية التعايش السلمى من خلال القرآن الكريم. وبيان هدايات القرآن الكريم عن هذا التعايش وعن الإسلام كدين سلام وحياة. وبيان أنّ الأصل في التّعايش في القرآن الكريم السّلم والرّفق لا العنف، واللّين لا الشدّة، والرّقة لا الغلظة.

منهج البحث:

- جمعت الآيات القرآنية المتعلقة بالتعايش السلمي للأفراد والجماعات.
- صنفت هذه الآيات تصنيفاً موضوعياً بما يناسب مباحث الدراسة
- راجعت تفسير الآيات في أشهر كتب التفاسير المعتمدة لفهمها على وجهها الصحيح.
- حللت الآيات وربطت بينها.
- واستنبطت منها النتائج المتعلقة بمباحث الدراسة.
- حرصت أن يكون منطلق الدراسة هو الآيات القرآنية، غير متأثر بالطرح الغربي المنهزم.
- سطرت ما توصلت إليه من نتائج ضمن مباحث الدراسة، ولخصت أهمها في خاتمة البحث.

عناصر البحث: وتتضمن بعد المقدمة تمهيدا وسبعة مباحث وخاتمة.

تمهيد: يتناول مفهوم التعايش السلمي ومدى أهميته.

المبحث الأول: هداية حرية العقيدة في تحقيق التعايش السلمي.

المبحث الثاني: هداية حسن المعاملة فى تحقيق التعايش السلمي

المبحث الثالث: هداية حماية الأنفس في تحقيق التعايش السلمي.

المبحث الرابع: هداية الحوار والتسامح في تحقيق التعايش السلمي.

المبحث الخامس: هداية إقامة العدالة في تحقيق التعايش السلمي .

المبحث السادس: هداية حسن الجوار في تحقيق التعايش السلمي .

المبحث السابع: هداية الالتزام بالمعاهدات في تحقيق التعايش السلمي .

الخاتمة: وتتضمن العديد من النتائج.

تمهيد

مفهوم التعايش السلمي ومدى أهميته

التعايش السلمي فى اللغة والاصطلاح:

التعايش لغة:من العيش،فيقال :عاش الرجل يعيش عيشاً ومعاشاً.(١) قال الخليل :" العيش والحياة والمعيشة اسم لما يعاش به وكل شيء يعاش به أو فيه فهو معاش, قال تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ (٢)مصدر عاش يعيش عيشاً، والعيش الحياة،"يقال عايشه بمعنى عاش معه، كقوله: عاشره.

و في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنا النَّهَارَ مَعاشًا﴾ (٣) ،أي ملتمساً للعيش. والعيش المطعم والمشرب وما تكون به الحياة"(٤).

والتعايش: أن يعيش بعضهم مع بعض ،أى عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي ، "(٥) فكلمة " عَيَشَ "أصل صحيح يدل على الحياة والبقاء، العيش والحياة والمعيشة، اسم لما يعاش به وكل شيء يُعاش به فهو مشاع، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (٦) أي ملتمس للعيش والتعيش تكلف أسباب العيشة وعايشه عاش معه.

---

(١)تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد الزبيدى،تحقيق مجموعة من العلماءطبعة دار الهداية ،القاهرة (د.ت) ٢٨٢/١٧، مختار الصحاح محمد بن أبى بكر الرازى طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٩م،(س.ل.م)

(٢)سورة النبأ: الآية (١١).وانظر الوسائل الاقتصادية فى التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، صبحي أحمد الكيسي الجامعة العراقيةكلية أصول الدين ، عبد الله حسن حمد الحديثي الخادمة العربيةكلية الآداب ، ص ٧

(٣) سورة النبأ: الآية (١١)

(٤)لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مادة عيش ٣٣٦/٦

(٥)المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع (د.ت)٣٩/٦

(٦)سورة النبأ: الآية (١١)

السِّلم لغة:السلام والسِّلم الصلح ، والسَّلم المسالم ،تقول :أنا سلم لمن سالمنى. (١) وقيل: السِّلم السلامة والسلام وهو في الأصل البراءة من العيب والآفات السلام من أسماء الله تعالى، وسمي الله بذلك لسلامته من النقص والعيب والفناء. (٢)

والسلام:السلامة،والتسالم والتصالح والمصالحة،السلام أمان الله في الأرض (٣)

واختار بعض أهل اللغة أنه من يسلم منه، واعترض على المعنى الأول بل شنع على قائليه ورأى أن المعنى: أنه الذي سلم الثقلان من جوره وظلمه فهو في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولااختلال، ومنه تقول: سلم من الآفة سلامة وسلاما إذا نجا والمسالمة الصالحة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (أسلم سالمها الله والسَّلْم: الصلح، المسالم تقول: أنا مسالم لمن سالمني، وقد أمر الله المؤمنين بالدخول في السِّلم كافة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (٤) **أي** خذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره ترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك. (٥) والسِّلمي وصف مؤكد لطبيعة التعايش، وهذا على فرض أن هناك تعايشاً غير سلمي. (٦) والإنسان هو جوهر عملية التعايش والسلم، لذلك خصه الله تعالى بالاستخلاف في الأرض لإظهار قيمته الآدمية. فالتّعايش في ظلال القرآن الكريم يسعى إلى خدمة الأهداف الكلية.

---

(١)مختار الصحاح، لمحمد بن أبى بكر الرازى. (س.ل.م).

(٢)لسان العرب لابن منظور (س.ل.م)

(٣)لسان العرب لابن منظور (س.ل.م)

(٤) البقرة (آية ٢٠٨)

(٥)أسس التعليم السلمي في الإسلام ومرتكزاته" ،عبد الله بن عبد العزيز المصلح، رابطة العالم الإسلامي الهيئة العالمية للاعجاز العلمى في القرآن والسنة بجمهورية سيرلانكا ص٤

(٦)http:www.manaratweb.com

إن التعايش السلمي مع الذات ومع الآخرين يشكل قيمة راسخة في النفس الإنسانية عندما تدرك القواسم والقيم المشتركة بين الأديان السماوية.

التعايش اصطلاحاً :

يعتبر مصطلح التعايش السلمى من المصطلحات الحديثة ،وهو يعني أن يكون هذا العيش علاقة متبادلة بين أفراد مجموعة بشرية تقيم على أرض واحدة وعلى المسالمة والأمان، والمهادنة والاطمئنان ،([1]) ،وقبول الآخر بكل مكوناته ومعتقداته، ومنحه حقوقه والحفاظ على كرامته، ولذلك غالبا ما ينعت ب"السلمي" كما هو الشأن بالنسبة لهذا الموضوع، وإن كان هذا المصطلح وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ورأت فيه البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المتباينة.

وقيل: يكون التعايش بيننا وبين غير المسلمين المقيمين بين ظهرانينا من أهل الذمة الذين يسمون الآن بالمواطنين، وبيننا وبين المعاهدين الذين دخلوا بلادنا بعهد أمان، وهو ما يسمى اليوم بالتأشيرة.

السِّلم اصطلاحاً: هو العيش في سلام ووئام بغض النظر عن اللون أو اللغة أو النوع أو الدين مع إقرار حرية العقيدة وحرية العبادة في ظل الثوابت الوطنية والقيم الأخلاقية التي أقرتها الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والتي اتفقت معها كافة الأعراف الإنسانية. وقيل أن تتعايش المذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة في سلام وحس جوار. ([2])

([1])مفهوم التعايش فى الاسلام، عباس الجراري ص٢٧، مقال منشور بمجلة الاسلام اليوم العدد ١٤ لعام ٢٠١٧م مجلة تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافةإيسكو.

([2])الحقوق الدولية العامة، فؤاد شاط،مطبعة جامعة دمشق سوريا ١٩٥٩م. ص٦١٨.

أهمية التعايش السلمي للفرد والمجتمع:

باستقراء وتتبع آيات القرآن الكريم نجد أنّ التعايش السلمي مقصد قرآني وقيمة حضارية رفيعة دعا إليها الذّكر الحكيم من خلال النّظرة الشّموليّة للنّص القرآني، ومن منطلق معرفي توحيدي يتبلور حول بيان علاقة الخالق سبحانه وتعالى بالإنسان. وذلك في إطار هدايات قرآنيّة مختلفة تحمل في مجملها معاني ودلالات واسعة وعميقة بشأن ترسيخ قيم التّعايش السلمي والتّعارف والتّآلف والسّلام والمساواة والتّعاون والإصلاح والتّسامح والرّحمة والرّفق([1]) . كما أنّها لا تخصّ في أغلبها طائفة معيّنة من بني البشر على خلفيّة دينيّة أو عنصريّة أو قوميّة أو جنس أو لون ونحو ذلك وإنّما هي دعوة عامة لكافة بني آدم، وإلى ضرورة انسجام المجتمع بكلّ أطيافه مهما اختلفت عقائدهم أو مذاهبهم والتّعايش في سلام وأمن واستقرار، كما تحضّ على التّعاون في بناء كلّ خير وبرّ وتقوى الله سبحانه. وفي المقابل تحذّر هذه السّياقات القرآنيّة من الفساد والإفساد في الأرض، ومن كلّ ما يدعو إلى الظّلم والخيانة والغدر، ولا شكّ أنّ تلك الصّورة الرّائعة والنّموذج الفريد الذي يرسمه القرآن الكريم نرى فيه ملامح التّعايش السّلمي واضحة بكلّ شفافيّة، وتعكس بكلّ رقيّ حضاري شكل العمران الأمثل الذي يصبو إليه الإنسان الحرّ العامل في هذه الحياة، لاسيما وأنّ الإنسان بطبعه يحّب السّلامة والعافية، ويكره القتل وما يؤدّي إليه. يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ ([2]) .

وهذا شأن الأفراد والجماعات والدّول، ومن ثمّ كانت العهود والمواثيق والأحلاف هي الأدوات الطبيعية للعلاقات الخارجيّة بين القبائل والدّول.

([1])الآنا والأخر من منظور قرآني- السيد عمر ، دار الفكر، سوريا- ٢٠٠٨م - ص١٣٢ وما بعدها

([2])(البقرة: الآية ٢١٦)

لقد استقرت دعوة التعايش السلمى في عقول المسلمين واتجاهاتهم وضمائرهم لكونها مبدأ من المبادئ التي عمّقت الشّريعة الإسلاميّة جذورها في نفوسهم حتّى صارت جزءا من كيانهم وعقيدتهم، ومن ثمّ كانت دعوة القرآن دائما قائمة على السّلم في الظّروف والملابسات العاديّة، في حين أنّه يأمرنا بالقتال في الظّروف والملابسات الاستثنائيّة المحتمة، فأبانت الآيات القرآنيّة أنّ الحرب ليست هي القاعدة إنّما هي استثناء وأنّ الإسلام لا يسعى إليها، عندئذ تكون الحرب ضرورة تقدّر بقدر أسبابها، ويجب أن تتوقّف فور انتهاء أسبابها. يقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) ومن ثمّ يقرّر الإسلام مبدأ السّلم العالمي (٢) .

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. (٣) ومبدأ السّلام والتّعايش تحت مظلته لا يقتصر على الآخر الخارجي بل يشمل أيضا الآخر الدّاخلي الذي يعيش معنا، وسواء كانت تربطنا به صلات قرابة أوْ لا. يقول الله تعالى:﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. (٤)

للتعايش السلمى أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، فبه تذلل الصعاب، وتيسر سبل التعاون وإحراز المنافع للفرد والمجتمع ،كما أن التعايش يرسي

---

(١)(الأنفال:الآية٦١) .

(٢)الحقوق الدولية العامة:فؤاد شباط، مطبعة جامعة دمشق- ١٩٦٢م- ص٣٩٣./ مقومات السّلم وقضايا العصر- الطيّار (علي عبد الرحمن): مركز النشر الدّولي- ط١- ١٤١٩هـ- الرّياض- ٦١/١ + ٦٣/٢.

(٣)(البقرة:الآية ٢٠٨)

(٤) النساء:(الآية٣٦)

قواعد الأمن والاستقرار في المجتمعات، فتصرف جهود أصحابها إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع لبناء المجتمع والمساهمة في تقدمه وازدهاره، فما من حضارة أقامها الإنسان إلا وكان أساسها الأمن والاستقرار على جميع المستويات، وفي مختلف المجالات.

وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿يَاأيهَا الناسُ إنَّا خَلقْناكُمْ مِنْ ذكَرٍ وأنْثى وجَعَلْناكُمْ شُعوبًا وَقَبائلَ لتَعَارفوا إنَّ أكْرمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ إنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبيرٌ ﴾. (١) لدعم التواصل والوئام بين الناس جميعا، وإبعادهم عن التنافر والشقاق الذي يهدر الجهود، ويهوي بالفرد والمجتمع في مزالق التشتت والضياع.

(١) الحجرات:(الآية ١٣.)

المبحث الأول

هداية حرية العقيدة في تحقيق التعايش السلمي

أقر الإسلام حرية العقيدة، وهذه الحرية من معالم التّعايش السّلمي، حيث ترك لكل فرد الحرية التامة في أن يُكَوِّن عقيدته بناء على ما يصل إليه عقله بالنظر الصحيح، وعلى ذلك لا يجوز للمسلم إكراه غيره على الدخول في الإسلام قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾.(١)

ومن الهدايات القرآنية التي تقرر حرية الاعتقاد بكل وضوح وحسم قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(٢). هذا هو الأصل في الإسلام : الناس أحرار فيما يعتقدون ، ولما كان حرص النبي ﷺ على حب الخير للناس يدفعه إلى تحمل المشقات في دعوتهم كان القرآن يلاحقه دائما ليقف عند حد البلاغ المبين ، ومن الآيات التي أدت هذا الدور في توجيه صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم الآيات الآتية : قال تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ، وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) وقال عز وجل:﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (٤) وقال سبحانه :﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(٥). إن حرية الاعتقاد في

---

(١)سورة البقرة من الآية (٢٥٦).

(٢) الكهف :(الآية ٢٩)

(٣)الذاريات :(٥٤ – ٥٥)

(٤)«الغاشية: (الآيتان ٢١ – ٢٢)

(٥)الزخرف : (الآية ٨٩).

الإسلام حق لا ريب فيه، ولكن لهذه الحرية ضوابط لابد من الإشارة إليها، حتى لا يلتبس الأمر على بعض الناس فلا يفرقوا
بين إيمان مؤمن ، وكفر كافر .

يقول ابن قدامة: لم ينقل عن النبي – صلى الله عليه وسلم –ولا عن أحد من خلفائه، أنه أجبر أحدا من أهل الذمة على الإسلام بموت أبيه، مع أنه لم يخل زمنهم عن موت بعض أهل الذمة عن يتيم (١) وهذا لا ينافي الدعوة إلى الإسلام بالموعظة الحسنة والرفق واللين قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢).

فالهدايات القرآنية التي تشير إلى حرية الاعتقاد كثيرة ، وأن الله تعالى يحب أن يعبد طوعا لا كرها، منها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُشْدُ مِنَ الغيِ﴾،(٣) قال ابن كثير : "أيْ لَا تكْرِهُوا أحَدًا عَلى الدُّخُولِ في دِينِ الإِسْلَام، فإِنهُ دِينٌ وَاضِحٌ، جَليٌّ دَلَائلهُ وَبراهِينهُ، لَا يَحْتاجُ إِلَى أنْ يكْرهَ أَحَدٌ عَلى الدُّخُولِ فيهِ، بلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّه للإِسْلَام، وَشَرحَ صَدْرهُ، وَنورَ بصِيرتهُ، دَخَلَ فيهِ عَلى بينةٍ، وَمَنْ أعْمَى اللَّه قَلبهُ وَخَتمَ عَلى سَمعهِ وَبصَرهِ، فإِنهُ لَا يفِيدُهُ الدُّخُولُ في الدِينِ مُكْرهًا مَقْسُورا" (٤) ، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ ربكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلهُمْ جَمِيعا أفأنتَ تكْرهُ الناسَ حَتَّى يكُونوا مُؤْمِنينَ﴾. (٥)

---

(١)المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ) الناشر دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٥هـ، ٩ / ١٩

(٢) النحل (الآية ١٢٥)

(٣) البقرة الآية ٢٥٦

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية،١٩٩٩م،١/ ٥٢١

(٥) يونس الآية ٩٩

كما تبين الهدايات القرآنية أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي البلاغ للرسالة الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَقلِ الْحَقُّ مِنْ رِبكُمْ فمَنْ شَاءَ فَلْيؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيكْفُرْ﴾ (١) وقال أيضاً: ﴿ وَلوْ شَاءَ اللَّه مَا أشْرَكوا وَمَا جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظا وَمَا أنتَ عَلَيْهِمْ بوكيلٍ﴾ (٢).

وتتجلى حرية العقيدة في القرآن الكريم من خلال الهدايات القرآنية التي تدعو إلى التدبر والتفكر في الكون، لسلوك الطريق الأمثل الموصل إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السعادة الأبدية، منها قوله تعالى: ﴿سَنريهِمْ آيَاتنا في الْآفاقِ وَفي أنْفُسِهِمْ حَتَّى يتَبيَّنَ لَهمْ أنهُ ا لْحَقُّ أوَلمْ يكْفِ بربِكَ أنهُ عَلى كُلِ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣) وقوله عز وجل: ﴿وَفي الْأَرْضِ آيَاتٌ للمُوقنينَ ﴾، ﴿ وَفي أنْفُسِكُمْ أفلَا تبصِرونَ ﴾،﴿ وَفي السَّمَاءِ رزقكُمْ وَمَا توعَدُونَ﴾ (٤).

فحرية الاعتقاد من أبرز حقوق الإنسان التي أقرتها هدايات القرآن الكريم، كمَعْلَم من معالم التعايش السلمى والتي تؤكد حق الإنسان في اعتناق العقيدة التي يطمئن لها قلبه ويستريح لها ضميره كثيرة ومتنوعة، فالله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان حرية الاختيار حتى بين الإيمان والكفر: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.(٥)

(١) الكهف الآية ٢٩

(٢) الأنعام الآية ١٠٧

(٣) فصلت الآية ٥٨

(٤) الذاريات الآيات ٢٠- ٢٢

(٥)الكهف الآية ٢٩

المبحث الثاني

هداية حسن المعاملة في تحقيق التعايش السلمي

تعتبر المعاملة الحسنة الطيّبة من معالم التّعايش السّلمي، ووضع جسور الود والتّقارب بين النّاس. يقول الله تعالى:﴿ لَايَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) <

قال الإمام القرطبي في هذه الآية: « هي رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم وأن يبروهم ويقسطوا إليهم، أي يعطوهم قسطاً من أموالهم على وجه الصّلة«(٢) والبرّ أعلى أنواع المعاملة، فقد أمر المولى عزّ وجل بالبّر في باب التّعامل مع الوالدين وبيّنه رسول الله ﷺ بقوله في حديث النوّاس بن سمعان الأنصاري. قال: «سألت رسول الله ﷺ عن البّر والإثم فقال: البّر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطّلع عليه النّاس (٣).

وقد تجلّى التّسامح في حسن الخلق عند المسلمين في معاملتهم الرّاقية مع غيرهم في كثير من تشريعات الإسلام التي أبدعت العديد من المواقف الجيّاشة لمشاعر الإنسانيّة والرّفق الخلاّق. ولهذه الأمور كلّها وغيرها كثير وجب أنّ تكون معاملات أهل الدّين مع النّاس مبنيّة على أصل الخلقة والنّشأة

---

(١) (الممتحنة:الآية ٨)

(٢)الجامع لأحكام القرآن- القرطبى ، تحقيق سمير البخاري- دار عالم الكتب- ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م- السعودية ٧/ ١٢٥

(٣)صحيح البخارى للإمام البخارى- كتاب الإيمان- باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة» رقم الحديث:٣٩

والفطرة والكرامة الإنسانيّة وقائمة على الحرّية والمساواة والاختيار والحوار وعدم الإكراه ووحدة القيم
والمثل العليا والحقوق المتبادلة (١)

والإنسانيّة اليوم بأسرها محتاجة إلى التّسامح الفعال والإيجابي أكثر من أيّ وقت مضى نظرا للتّقارب الحاصل بين الثّقافات والتّفاعل بينها، وهو يزداد يوما بعد يوم بفضل التّقدّم الباهر في مجال المعلومات والاتصالات. والثّورة التّكنولوجيّة التي استطاعت أن تزيل كلّ الحواجز الزّمانيّة والمكانيّة بين الأمم والشّعوب حتّى أصبح الجميع يعيشون في قرية كبيرة كما يقال. (٢)

تبين الهدايات القرآنية أن من معالم التعايش السلمي حسن التعامل مع الآخرين ، وهو الأصل في دين الإسلام، لأنه دينُ تجمّعٍ وألفة، لا دينَ عزلةٍ وفرارٍ من تكاليف الحياة، ولم يأت القرآن ليدعو المسلمين إلى الانقطاع في دير، أو العبادة في صومعة، بعيداً عن مشاكل الحياة ومتطلباتها. بل إنّ نزعة التعايش السلمي والتعرّف إلى الناس والاختلاط بهم أصيلة في تعاليم هذا الدين.

ولعلّ ما ورد من هداية قرآنية في سورة الممتحنة، هو من أوضح الآيات التي تميز بين الولاء وبين البرّ وحُسن التعامل، يقول تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (٣)

---

(١)فقه التعايش في السيرة النبوية- مصطفى (حسن علي): المركز الإسلامي الثقافي ط١- ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م- ص١٣

(٢) ا لمصدر نفسه – ص١٢.

(٣) سورة الممتحنة: الآيتان ٨، ٩.

فقضية التعامل مع الآخرين هي قضية بالغة الأهمية والخطورة، وقد جعل الإسلام الإلتزام بالدين في قسمٍ كبيرٍ منه، متوقفٌ على الأدب وحسن المعاملة. ومن منطلق هذه الأهمية، جاء القرآن الكريم ليضع لنا المناهج القويمة والأسس السليمة للتعامل مع الآخرين باعتباره موضوعاً أساسياً من موضوعات هذا الدين.

فقد أصّل القرآن الكريم لأدب التعامل مع الآخرين وأقامه على مجموعة من القواعد والفنون، التي نضمن من خلالها نتائج إيجابية وحسنة في العلاقات الإنسانية، غير أنّ هناك قاعدة قرآنية تُعدُّ أصلاً تتفرع عنه كل قواعد التعامل مع الآخرين، هذه القاعدة هي «حُسْنُ الخُلُق»، إذْ لا نجاح ولا توفيق في التعامل مع الآخرين دون هذا الأصل المتين. ومن هنا فقد مدح الله تعالى نبيه بهذه الصفة، فقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .(١)

فحُسْنُ الخُلُق أصْلٌ في أدب التعامل، وتتفرع عنه سلوكيات كثيرة. وهذا الأدب في التعامل مع الآخرين، خيرُ مُعينٍ على تذليل صعوبات الحياة، وتخفيف آلامها، لأنه يبعث السرور في النفس، وبه تطيب المعاشرة وتصفو المعيشة. كما يشير القرآن الكريم إلى مبدأ مهم في التعامل مع الآخرين.

فالدِّينُ في المنظور القرآني ليس صلاةً وصياماً في جهة، وجلافةً وجَفَاءً في التعامل مع الناس في الجهة الأخرى، بل هو وِحْدَةٌ متكاملة يرتبط فيها الجانب الإيماني بالجانب العَملي في الحياة. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ

(١) سورة القلم: الآية ٤

الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١) فهذه الآية تشير إلى ملامح الشخصية الإسلامية التي ترتكز على جانبين اثنين: جانب الفكر والإيمان وأداء العبادات، وجانب الممارسة في السلوك الذاتي وفي العلاقة مع الناس ومع المواقف الصعبة في الحياة. نلمح ذلك من خلال تحديد طبيعة البِرّ الذي يعني التوسُّع في الخير والإحسان، كما يذكر أهل اللغة (٢).

وتتعدد الهدايات القرآنية التي تحث على الالتزام بالأدب في التعامل مع الآخرين، مثل النهي عن فضول الكلام والخوض في الباطل حثَّ القرآن الكريم على الابتعاد عن فضول الكلام وعدم الخوض في الباطل، والالتزام بهذا التوجيه القرآني مِنْ شأنه أنْ يَصُبَّ في بناء مجتمعٍ متماسكٍ يبتعد فيه الناس عن الثرثرة والإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه.

قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣) جاء التوجيه القرآني ليحث على تجنب النطق بالألفاظ البذيئة، والكلمات المبتذلة. قال تعالى: ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (٤)

وفي آية أخرى نصَّ القرآن الكريم على أن إيذاء المؤمنين بالقول السيئ دون وجه حق، يترتب عليه إثم عظيم.

---

(١)سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢)مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت)، ص ٤٠.

(٣)سورة النساء: الآية ١١٤.

(٤)سورة النساء: الآية ١٤٨.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (١)الحث على الصَّمت وحُسْنِ الاستماع مهارة لابدّ من إتقانها، لما لذلك من أهمية كبرى في بناء العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات، وقد نبَّه القرآن الكريم إلى ضرورة حُسن الاستماع. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾. (٢)

كما حثت الهدايات القرآنية على خفض الصوت وعدم رفعه، وتوالت توجيهات القرآن الكريم في الحث على الأدب مع الآخرين، والدعوة إلى خفض الصوت وعدم رفعه. ويظهر هذا التوجيه جَليّاً فيما جاء على لسان لقمان الحكيم في وصاياه لابنه.

حيث قال الله عز وجل: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (٣)

قال الآلوسي: "والحكمة في غض الصوت المأمور به، أنه أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع، وفَهْمِه"(٤)وعلى هذا جاء التوجيه القرآني بخفض الصوت في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (٥)

---

(١)سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

(٢)سورة الزمر: الآية ١٧.

(٣)سورة لقمان: الآية ١٩.

(٤)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت:.١٤١٥هـ،، ج٢١، ص٩١.

(٥)سورة الحجرات: الآية ٢.

وكذلك في حضرة الوالدين، كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (١).

وجاءت الهدايات القرآنية بنَهى الله تعالى المؤمنين عن السخرية من الآخرين مهما كانت صفاتهم وأوضاعهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣)

كم جاءت الهدايات القرآنية بالنهي عن الغيبة والنميمة، وأنها من الأمور التي أمر القرآن الكريم بإجتنابها لمنافاتها أدب المعاملة، الغيبة والنميمة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

---

(١)سورة الإسراء: الآيتان (٢٣، ٢٤)

(٢)سورة الحجرات: الآية ١١.

(٣)سورة الحجرات: الآية ١١

(٤)سورة الحجرات: الآية ١٢.

المبحث الثالث

هداية حماية الأنفس في تحقيق التعايش السلم

كشفت لنا الهدايات القرآنية عن معلم من معالم التعايش السلمى وهو حفظ الأنفس ،ويقصد بذلك حفظ الأرواح ،وقد شرع القصاص لحفظ الأرواح وسلامتها قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾(١) ويقصد بحفظ النفس حفظ الأرواح ، أفرادا وعموماً الآن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل خصائصها التي بها بعض قوام العالم (٢)وأيضاً يقصد بها النفس المعصومة من القتل والمحمية من الإزهاق، من أجل التعايش السلمي بين أبناء البشر ، **والأنفس المعصومة من القتل ثلاثة أنفس:** نفس معصومة بالإسلام وتكون للمسلمين، ونفس معصومة بالجزية وتكون لأهل الكتاب المقيمين مع المسلمين في بلد واحد، ونفس معصومة بالأمان وتكون للحربي الذي يطلب من للمسلمين الدخول إلى أرضهم لأغراض مدنية .

وفي سورة المائدة قال تعالى :﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَئِيلَ أَنَّهُ مَن قتل نفسا بغيرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فكَأَنما قتلُ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (٣) **قال ابن عباس** :" مَنْ حَرَّمَ قَتْلَها إِلَّا بِحَقِّ " ﴿ فكَأَنما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٤) لأن ترك النفس حية دون اعتداء عليها يستلزم بقاء النفوس حية حتى تموت الموت المقدر عليها في آجالها. وكذلك قتل النفس بغير حق يستلزم أن يكثر القتل ويفشو فربما أفنى البشرية جميعها ، فأحياها حفظاً لها من جانب الوجود

---

(١) البقرة آية ١٧٩.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)،تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة،الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ص٣٠٣

(٣)المائدة آية ٣٢

(٤)المائدة: ٣٢

، وحرم الاعتداء على الغير في نفسه أو بعض أعضائه، حتى يعيش المجتمع سالماً متعافياً. (١)

نرى في هدايات القرآن الكريم بكل وضوح أن للنفس الإنسانية حرمتها وكرامتها وحقها في العيش الكريم بعيدة عن كل اعتداء وإكراه، قال تعالى :و﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٢) قيل في تكرمة ابن آدم: كرّمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد، قال تعالى :و﴿لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٣) مما يدل بإطلاقه وعمومه أن النفس الإنسانية مصونة ومعصومة لاسيَما إذا كانت في دار المسلمين وتحت سلطتهم، قال الله عز وجل :﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٤).

أما إيذاء المؤمنين والمؤمنات دون داعٍ فمن الكبائر والأمور المحرّمة قطعًا، كما يدل عليه قوله تعالى :﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥)، فإن مجرد الإيذاء بالقول أو العمل يُعدّ جريمة تستحق العقوبة التعزيزية على أقل تقدير، وفي هذا ضمان لكل مؤمن ومؤمنة أن ينعم بعيش رغيد يأمن فيه على كرامته ونفسه وماله وأسرته.

---

(١)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى، باب قول الله تعالى " ومن أحياها " قال ابن عباس من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه جميعاً كتاب الديات، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) – بيروت(د.ت) جزء ٣٤ ص٣٧.

(٢) الإسراء آية ٧٠

(٣)الأنعام: ١٥١،الإسراء: ٣٣

(٤)المائدة:٣٢

(٥)الأحزاب:٥٨

وقد نصت الهدايات القرآنية على حفظ النفس وحمايتها وأوجب الشرع الحنيف العناية بتوفير كل ما تتحقق به حمايتها وبقاؤها، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾"(١)، ويقصد بحفظ النفس عصمة الذات الإنسانية من عناصرها المادية والمعنوية، وذلك بإقامة أصلها الذي تعد المحور الذي تدور عليه عمارة الأرض، ويتحقق به معني الاستخلاف فيها قال تعالي: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢) كما يتمثل حفظ النفس في بعدها المادي والجسدي، والمعنوي والروحي. وبينت الهدايات القرآنية أن الحفظ للنفس يحصل من جانبين:

الجانب الأول: جانب الوجود وذلك عن طريق مشروعية الزواج والحث عليه، قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فعسى أن تكرهوا شيئًا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (٣)والمقصد الشرعي من الآية هو الدوام والاستمرار للحياة الزوجية ذلك دلالة على أن المراد بالمعاشرة بالمعروف المقصود منها حصول المودة والرحمة على وجه الدوام والاستمرار، الذي هو التعايش بين الزوجين وإيجاد النسل ثم يتبعه كل ما يتعلق بالأنساب والمصاهرة من المصالح.

وعن طريق إحياء النفس جسديًا، قال تعالي: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"﴾ (٤) بمعني أن من تسبب في إحيائها عند إشرافها على الهلاك، فكأنما أنقذ الناس جميعًا من الهلاك، وهذا على الحقيقة تسبب في استمرار الحياة. وذلك بالأكل والشرب واللباس والسكن :قال العز بن عبد السلام :ولن تتم حياته إلا بدفع ضروراته وحاجاته من المآكل والمشارب، والملابس،

(١)النساء: ٢٩

(٢)هود: الآية٦١

(٣)النساء :الآية ١٩

(٤)المائدة:الآية ٣٢

والمناكح وغير ذلك من المنافع، ولن يتم ذلك إلا بإباحة التصرفات الرافعة للضرورات والحاجات. (١)

وبينت الهدايات القرآنية أن حفظ النفس وحمايتها وإحياءها معنويا يتم بحسن تأديبها وتزكيتها وتوفير الكرامة لها وإعطائها حقوقها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٢) ، أي: قد أفلح من كبرها وكثرها ونماها في طاعة الله، وخاب من صغرها وحقرها بمعاصي الله.

كما يتم حفظ النفس وحمايتها بحفظ سائر الأعضاء: فإن المحافظة على الأعضاء وسيلة للحفاظ على النفس.

والجانب الثاني: حفظ النفس من جانب العدم: يقصد به حماية الذات الإنسانية من التلف سواء كان ذلك على وجه الإفراد أو العموم كتحريم القتل الجسدي: قال تعالي﴿" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾"(٣).

وكتحريم القتل المعنوي :ويقصد به ضياع الشخصية، والتنكب عن الهدي، والتخلي عن الدور الريادي في عمارة الأرض، كما تعد إهانة الإنسان واحتقاره نوعًا من أنواع القتل المعنوي،

قال تعالى: ﴿"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾"(٤)

---

(١)قواعد الأحكام ٥٨/١

(٢)الشمس:الآية ٩ – ١٠

(٣)المائدة:الآية ٣٢

(٤)الحجرات:الآية ١١.

المبحث الرابع

هداية الحوار والتسامح في تحقيق التعايش السلمي

أفصحت الهدايات القرآنية عن أن الحوار مع المخالف–سواء من المسلمين أو غيرهم–أساس من أسس التعايش السلمى بين الأفراد والجماعات مصحوبا بالتسامح؛ كما أشارت من قبل إلى أن حرية العقيدة أساس من أسس التعايش السلمي؛ لأن ديننا الحنيف يرفض الإكراه لنشر تعاليمه السمحة، فالحوار مبدأ راسخ في القرآن الكريم؛ يتجلى من خلال الآيات العديدة المكية منها والمدنية ،التي تدل بمنطوقها ومفهومها على أنه هو الوسيلة الناجعة لإيصال الحقيقة والتواصل بين الناس بمختلف مللهم ونحلهم، والآيات ترشدنا إلى أهمية الحوار في حياة الناس، وتعلمنا حسن الاستماع إلى الآخرين، كما توجد آيات كثيرة تخاطب العقل البشري وتدعوه إلى التفكر والتدبر .

بالنظر في هدايات القرآن الكريم نلاحظ تنوع صور ومواضيع التعايش السلمى التي تم حولها الحوار؛ فهناك آيات تحدثت عن الحوار الذي وقع قبل الإسلام للتدبر والاعتبار؛ كالحوار بين الباري عز وجل وملائكته الكرام في قصة خلق الإنسان، وسؤال الملائكة لرب العالمين، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) ، فاستجابت الملائكة لأمر الله تعالى كما قال عز من قائل: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ، وقد سأل الله تعالى إبليس عن سبب عصيانه فقال سبحانه ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٢).

---

(١)البقرة: الآية ٣٠

(٢)الحجر : الآيات ٣١-٣٣

كما تحاور سيدنا نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى عليهم السلام مع أقوامهم، وقص علينا القرآن الكريم محاوراتهم، وجاء في القرآن الكريم حوار جرى بين رجلين أنعم الله تعالى على أحدهما بجنتين، آية في الجمال وتنوع الثمار، فسولت له نفسه فاغتر بما عنده ، وأنكر الإيمان و الآخرة، فكان صاحبه المؤمن يحاوره بأدب، وينصحه بلطف

، قال تعالى: ﴿ **قَالَ** لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ (١).

وفي نهاية القصة ندم الرجل على ما اقترف، قال تعالى مخبرا عنه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٢) ونتعلم من هذه القصة أدب الحوار واستخدام اللين مع الآخرين.

كما نتلمس من خلال الهدايات القرآنية صورة الحوار التي رسمها القرآن الكريم لترسيخ مبدأ التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم، بترسيخ مفهوم الحوار والتأكيد على الأسلوب الهادئ الذي لا يعمق هوة الخلاف بل يحاول ردمها وتقريب وجهات النظر بين المسلمين وغيرهم، يؤكد ذلك العديد من الآيات القرآنية التي تحاول ترسيخ فكرة الحوار في مفهوم المجتمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (٤)

---

(١) (الكهف الآية ٣٧)

(٢)(الكهف الآية ٤٢)

(٣)(آل عمران:الآية ٦٣)

(٤)(العنكبوت:الآية ٤٦)

ونلاحظ أن الهدايات القرآنية قد أكدت في الآيات السابقة على الأسلوب الهادئ والسلس في عرض المسائل العقائدية وطريقة الرد عليها من قبل المسلمين حين يحاججهم أهل الكتاب، فلابد أن يبقى الباب مفتوحاً للحوار الذي قد يجنب الجميع الدخول في متاهات كبرى هم في غنى عنها.

كما بينت هدايات القرآن الكريم أن من أسباب نجاح الحوار الهادف الابتعاد عن الجدال بالباطل؛ لأنه يستخدم لقلب الحقيقة من غير هدى ولا دليل، ولا حجة ولا برهان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾. (١)

فالحوار الهادف ينجح بالحكمة، وباستخدام أفضل السبل للإقناع، فالحوار بالتي هي أحسن يستلزم احترام الآخر، والصبر عليه، وعدم مقاطعته أثناء حديثه، أو بيان رأيه، كما يستلزم حسن الظن به، والحرص على عدم تحويل الحوار إلى جدل وخصام، فمنهجية الحوار في القرآن الكريم تعلمنا أنه يكون من أجل تصحيح الأفكار، والوصول إلى النتائج الطيبة التي تَهم مصالح الناس، وتسهم في تقدم المجتمع، فبالحوار الهادئ تزداد الأسرة تماسكا، ويتفاهم الأصدقاء مع بعضهم ،وبالحوار ننجح في الوصول إلى التعايش السلمى بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الأخرى مهما تباينت مللها ونحلها ،ونحقق معان القيم الإنسانية والحضارية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾. (٢)

لا يمكن للحوار أن يؤتي أكله إذا لَم يصاحبه نوع من التسامح ولين الجانب مع المسلم وغيره، لأن التسامح من قيم الإسلام الكبرى التي تميزت بها تعاليم ديننا الحنيف في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة، والفردية والجماعية. وقد

(١)(الحج:الآية ٨)

(٢)(آل عمران:الآية ١١٠)

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله:« أَحَبُّ الدِينِ إِلَى اللَّهِ الحنيفِيةُ السَّمْحَةُ»،

السمحة في اللغة تعني اليسر والسهولة قال الزبيدي: "الحنيفية السمحة هي الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة"، (١) وقال ابن حجر العسقلاني عند شرحه لهذا الحديث:"الْحنيفِيةُ مِلَّةُ إِبْراهِيمَ، وَالْحَنيفُ في اللغةِ مَنْ كَانَ عَلى مِلةِ إِبْراهِيمَ، وسمِيَ إِبْراهِيمُ حَنيفًا لمِيْلهِ عَنِ الباطِلِ إِلَى الْحقِ لِأَنَّ أَصْلَ الْحنفِ الميْلُ، وَالسَّمْحَةُ السَّهْلةُ أيْ أَنَّها مَبْنيةٌ عَلى السُّهُولةِ، لقَوْلهِ تَعالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٢).

وقد ذكرت الحنيفية في القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة منها قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣)

وقد كشفت الهدايات القرآنية أن التسامح في الإسلام يعد أساساً وركناً أصيلاً من أسس التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي وسبق أن وصفت الحنيفية بالسمحة؛ وهي من السماح بمعنى اليسر والسهولة في جميع المعاملات؛ لبيان أن المسلم يطلب الحق ويدعو إليه، ولا يميل عنه إلى غيره من التيارات والاتجاهات الباطلة، لكنه يوغل فيه برفق، ويلتزم السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ويتعامل مع المخالف من المسلمين أوغيرهم برحابة صدر

---

(١) تَاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية للنشر، مادة سمح ٤٨٥/٦.

(٢)الحج: الآية ٧٨،وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، سنة١٩٩٦م،١/ ٩٤.

(٣)البقرة الآيات ١٣٥-١٣٦

تفسح المجال للتعبير عن الآراء دون إكراه أو إجبار. ومعلوم أن لفظ التسامح لَم يرد صريحا في القرآن الكريم إلا أن الدعوة إليه تكررت في ثنايا آيات عديدة بِألفاظ مختلفة كقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .(١).

وعبر عن التسامح بالعفو في قوله عز وجل: ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعرفِ وأعْرِضْ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) وإن كان العفو يمثل درجة أعلى من التسامح، جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية ما نصه: "عن أبي الزبيْرِ: خُذِ العفْوَ، قالَ: مِنْ أخْلَاقِ الناسِ، وَاللَّهِ لَآخُذَنهُ مِنْهُمْ مَا صَحِبْتُهُمْ، وهَذَا أشْهَرُ الْأقْوالِ، وَيشْهَدُ لهُ مَا روَاهُ ابنُ جَريرٍ، وَابنُ أبي حَاتِمٍ جَمِيعا: حَدَّثنا يونسُ حَدَّثنا سُفْيانُ هُوَ ابنُ عُيَيْنةَ عَنْ أمَ رِي قالَ: لما أنْزلَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ عَلى نبيهِ صَلى اللَّه عَليْهِ وَسَلمَ: ﴿خُذِ العفْوَ وَأمُرْ بِالعرفِ وأعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، قالَ رسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّه عَليْهِ وَسَلمَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قالَ: إنَّ اللَّه أمَرَكَ أنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظلمَكَ وَأن تعْطِيَ مَنْ حَرمَكَ وَتصِلَ مَنْ قطعَكَ". (٣)

إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن التسامح في الإسلام الذي يعد أساسا وركنا أصيلا من أسس التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي، وبين هذا المجتمع وغيره من المجتمعات الأخرى، لا ينبغي أن ينظر إليه من جانبه الاجتماعي فحسب، وتهمل الجوانب الأخرى ،"فكثيرا ما تستخدم هذه الكلمة في المسائل الاجتماعية، حتى إنها توحي بِنها من مفرداتها، أو من مصطلحاتها، إلاأنه من المصطلحات ذات المعنى العام والشامل، إذ لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فحسب، إنَّا يتعداه إلى الجانب الاقتصادي

(١)النحل:الآية ١٢٥

(٢)الأعراف:الآية ١٩٩

(٣)ابن كثير، تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٠

والسياسي، وله علاقة عامة وشاملة في كل جوانب العلم والمعرفة، وله دور في مختلف أبعاد الحياة".([1])

لا بد من التأكيد على أنَّ التسامح هداية من هدايات القرآن الكريم وركنا من أركان التعايش السلمي فهو قاعدة راسخة، وفضيلة أخلاقية، وضرورة بشرية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها إدارة صحيحة هادفة، لا سيما وأن رسالة الإسلام عالمية تتجه بمبادئها السمحة وتعاليمها المعتدلة للناس كافة، فهي تأمر بالعدل والسماحة، وتنهى عن الظلم والعنف، وترسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش السلمي الإيجابي بين البشر جميعاً بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم وأوطانهم.

([1])التسامح من ملامح الوسطية في الإسلام، إصدارات الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف،بأبى ظبى ٢٠٠٩م ص٢٥ .

المبحث الخامس

هداية إقامة العدالة فى تحقيق التعايش السلمي

من الهدايات القرآنية التي أرساها الإسلام لتحقيق التعايش السلمي العالمي مبدأ العدل ، والعدل وسيلة ذات شأن من وسائل إعادة التوازن في الحياة ، وتسكين هياج النفوس ، ومظلة تحمي الحقوق وتشيع الأمن والسلام بين الناس ، وإذا غاب العدل بين الناس تصدعت أسس الاستقرار ، وفسد طعم الحياة ،لذلك عني الإسلام بالعدل، وجعله حقا للناس جميعا فقيرهم كغنيهم ، وصغيرهم ككبيرهم ، وطالحهم كصالحهم وكافرهم كمؤمنهم ، وضعيفهم كقويهم ، ومحكومهم كحاكمهم وخاملهم كنابهم، وحقيرهم كعظيمهم ، وعدوهم كصديقهم والحكم بالعدل في الإسلام يكون في المنازعات الدولية كما يكون في المنازعات الشخصية سواء بسواء .

وهناك العديد من الهدايات القرآنية تدلل على التعايش بين المسلمين وغيرهم ، سواء أكانوا في دار الإسلام أو غيرها ، وقد ورد الأمر من الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين في آيات كثير أمروا فيها بالعدل منها :-**أولا : الأمر بالعدل والإحسان** :قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

فيجب تحقيق مفهوم العدالة تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً .

ثانياً: العدل في أداء الأمانة والحكم بالعدل: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِي أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ(٢)فالعدالة حق للأعداء كما هي حق للأولياء ، وقد نص القرآن الكريم على أنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم،

---

(١)النحل:الآية ٩٠

(٢)النساء : الآية٥٨

فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى .

ثالثاً:القيام بالقسط : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فقيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (١)فقد أتى الأمر بالعدل هنا بصيغة المبالغة: قوامين) ليكون الإتيان به على أكمل وجه، فهو بناء مبالغة أي: ليتكرر منكم القيام بالقسط وهو: العدل.

قال ابن كثير رحمه الله : " يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم، و يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه. (٢)

رابعاً: الأمر لعموم المسلمين بالعدل مع غيرهم .

كما ورد الأمر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالعدل مع غيرالمسلمين، ورد أيضا لعموم المسلمين بالعدل مع غيرهم على الرغم من الكراهية التي قد تكون بينهم، ويبين القرآن الكريم أن العدل مع غير المسلمين أقرب إلى تقوى الله عز وجل، يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قوامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقربُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣)فالعدالة حق للأعداء كما هي حق للأولياء، وقد نص القرآن الكريم على أنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى وبنيت علاقة المسلمين بغيرهم على قيم العدل والإحسان بالرغم من عدم إقرار العالم لهذه القيم إلا بعد قرون طويلة.

---

(١)النساء: الآية ١٣٥

(٢)تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ،تحقيق سامى محمد سلامة، ط٢ ،مكة المكرمة ،دار طيب للنشر ١٩٩٩م، ٢/ ٤٣٣.

(٣)المائدة: الآية ١٨

وقد أشارت الهدايات القرآنية إلى تأكيد قيمة العدل، وعظيم أثره في الحياة أمرنا الله أن ننقذه بالقوة المسلحة إذا رفضه أحد أطراف الخصومة، وبخاصة في منازعات الجماعات والدول . فإذا اعتدت طائفة على أخرى وقاتلها ظلماً وعدوانا وجب على الأمة أن تقاتل الطائفة الباغية حتى تمتثل لصوت الحق: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١)

وأمر الهدايات القرآنية بإقامة العدل والحث عليه ومدح من قام به ،وذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى:" ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢)

وإذا تأملنا هذه الهداية القرآنية نجد أن القرآن يلفت نظرنا أولاً إلى المسارعة إلى وقف نزيف الدم، فيأمر بقتال الفئة الباغية قبل النظر في أصل النزاع والفصل فيه ، فإذا توقف القتال اختياراً أو جبرا تهيأ الجو لأصل النزاع وسماع طرفي الخصومة . ثم إصدار الحكم العادل المقسط والزام طرفي الخصومة بتنفيذه وإذا كان القرآن قد صرح باستعمال القوة المحايدة لوقف القتال الظالم هنا في آية الحجرات، فإننا نراه يلوح باستعمال القوة في آية أخرى إذ يقول :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣)

القسط هو العدل، والآية الكريمة جعلت الغاية من إرسال الرسل ، وإنزال البينات في الكتب التي جاء بها الرسل ، جعل الغاية من هذا كله تمكين الناس من القيام بالقسط (العدل ، ثم جاء دور الحديد ووظيفته في الحياة ،

---

(١)الحجرات :الآية ١٩

(٢)النحل: الآية ٩٠

(٣) الحديد:الآية ٢٥

وهو رمز القوة ، وفيه منافع سلمية للناس ، لكن القرآن قدم جانب الباس الشديد على جانب المنافع السلمية ، لتكون القوة الملحوظة في الحديد لصيقة القسط «العدل» لتحميه من العبث والاعيب الأهواء ، واعتداءات المستبدين

وينوه القرآن في مواضع أخرى بقدسية العدل وإنفاذه في كل الملابسات والظروف، ويدعونا إلى النطق به واقراره غير متأثرين بأي مؤثر خارجي من قرابة لأحد طرفي المخصومة ، أو بغض وكراهة ، أو شفقة على طرف منهما تحيد بنا عن النطق بالحق وإقرار العدل فيه ،حتى لو كان أحد طرفي الخصومة عدواً لنا ، بل ولو أجرم في حقنا ، وفي هذا وردت التوجيهات الإلهية الآتية :قال تعالى: ﴿.. كُونُوا قَوامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فقيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾.(١)وقال عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ (٢) قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (٣)

إن الهدى القرآني في هاتين الآيتين يلزمنا بالعدل المطلق قضاءً وشهادةً، وينهانا عن التأثر العاطفي في إصدار الأحكام. في ظل التعايش السلمى بين الأفراد والجماعات والدول.

.

(١) النساء: الآية ١٣٥ .

(٢) شنآن قوم : أى ولايمنعنكم بغضكم لأحد أن تحكم له بالعدل وذلك أقرب للإنصاف والتقوى.

(٣) المائدة :الآية ١٨ .

المبحث السادس

هداية حسن الجوار في تحقيق التعايش السلمي

تبين لنا هدايات القرآن الكريم أن التعايش السلمى في الجوار يمنع من التنافر، والشّحناء، والبغضاء والحقد، وتزرع بين الجارِ وجَاره التراحم والتعاون في مختلف مجالات الحياة، ممّا يدلّ على رُقيّ المجتمع، وعلوّ أخلاقه.

لقد وضع الإسلام نظامًا فريدًا للاجتماع، لحمته التراحم والتعاطف، وسداه التكافل والتكاتف، ومبناه على التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وقيام كل مسلم بما يجب عليه تجاه من يعامله أويصل إليه. وقد عظم الله حق المسلم على المسلم، وحق القريب على قريبه، وحق الجار على جاره. والقيام بهذه الحقوق من أهم أسباب السعادة للفرد والمجتمع. فإن الناس في هذه الدنيا ممتحنون، والمصائب تحيط بهم من كل جانب. والإنسان بمفرده أضعف من أن يصمد طويلاً أمام هذه الشدائد، ولئن صمد، فإنه يعاني من المشقة والجهد ما كان في غنى عنه لو أن إخوانه التفتوا إليه، وحدبوا عليه، وهرعوا لنجدته، وأعانوه في مشكلته، فالمرء قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه وجيرانه وأهله. وتترتّب على رابطة الجوار العديد من الآداب والحقوق، التي أقرّها الإسلام، وبيّنها في نصوص القرآن الكريم.

الهدايات القرآنية التي أرساها الإسلام لتحقيق التعايش السلمي تبصرنا بشأن الجوار وحقوق الجار كما نص التعبير فى قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا﴾ (١) هذه الآية المباركة نص أساسي من نصوص الدرجة الأولى في التشريع الإسلامي،

(١)النساء: الآية ٣٦

ونلاحظ أن فيها جملة من الأوامر التي تعلقت بموضوعات يعود بعضها إلى العلاقة مع الله، ومعظمها يعود إلى العلاقة مع الناس ومع المجتمع. (١)

كان خطابها واعبدوا الله وحده بالانقياد له، ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما وبرِّهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى والفقراء، وأحسنوا إلى الجار ذي القرابة، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى الصاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطعت به السبل، وأحسنوا إلى مماليككم، إن الله لا يحب من كان معجبًا بنفسه، متكبرًا على عباده، مادحًا لنفسه على وجه الفخر على الناس.

تتضمن الآية السابقة العديد من الهدايات القرآنية منها ما يتعلق بطاعة الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أتى الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى والنهي عن الشرك به.

ثم يأتي الأمر الثاني في الهداية القرآنية يتعلق بالإحسان إلى الوالدين كقوله تعالى :وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا(، أي: أحسنوا إلى الوالدين. ولا ريب عند الفقهاء في أنّ الأمر بالإحسان إلى الوالدين هو للوجوب والإلزام، والإحسان إلى الوالدين من الواجبات الثابتة في الشريعة بدليل صريح القرآن في آيات أخرى وبدليل السنة القطعية.

ثم يأتي الأمر الثالث في الهداية القرآنية يتعلق بالإحسان إلى ذي القربى واليتامى والمساكين كقوله تعالى :وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ يظهر لنا من خلال هذه الهدايات القرآنية أنّ المراد من التعبير القرآني هنا هو الإحسان إلى هذه الفئات الاجتماعية الضعيفة من الناحية الاقتصادية، باعتبارهم مجموعات وليس باعتبارهم أفراداً، أو فئات اجتماعية .

(١)موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (الطبعة الأولى)، سوريا: دار النوادر ٢٠١٠م، ١/ ٩٦

ثم يأتي الأمر الرابع في الهداية القرآنية بوجوب الإحسان إلى الجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل كقوله تعالى (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابن السبيل).

فالصحيح – والله تعالى أعلم – أنّ (الجار ذي القربى) هو القريب في النسب، وهو هنا غير الوالدين من ذوي الأرحام، بقرينة تقدم ذكرهما في الآية على وجه الاستقلال، فإذا كان جاراً يجب الإحسان إليه باعتباره جاراً مع وجوب الإحسان إليه باعتباره ذا قُربى، لأنّه باعتباره ذا القربى يجب الإحسان إليه وإن لم يكن جاراً.

كما أوجبت علينا الهدايات القرآنية الإحسان إلى الوالدين ورعايتهم ،أوجبت علينا الاحسان إلى الجار ذوي القربى والجار الجنب على ما قبله من الآية "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ،و(وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) الذى هو الرفيق (رفيق السفر أو رفيق الحضر) وصاحب الجَنْب هو الذي يصاحبك ويقف إلى جانبك بالمعنى المادي والمعنوي.وأوجبت الإحسان إلى (ابْنِ السَّبِيلِ)، السبيل هو الطريق، وابن السبيل هو المسافر الغريب المنقطع عن مورده الاقتصادي.

وقد تكفل التشريع الإلهي في الإسلام برعاية هؤلاء ومساعدتهم على اجتياز محنتهم. وقد أُمرت الأُمّة بالإحسان إلى ابن السبيل من خلال إنشاء مؤسسات ترعى هذه الحالات بتمويل من أموال الزكاة وغيرها، كما يجب على آحاد المسلمين أن يسعفوا أبناء السبيل. ([1])

واستنبط العلماء من الهدايات القرآنية العديد من حقوق الجار الأخرى؛ منها: تقديم التهاني للجار، وتحقيق الخير له بأيّ طريقةٍ مُمكنةٍ،

([1])انظر: تفسير الطبري ١٨٠.١٧٨/٥، وتفسير القرطبي ١٨٣/٥، وتفسير ابن كثير ٤٩٥/١، وفتح الباري ٤٤١/١٠، وتفسير الشوكاني ٧٤٣/١. وكل هذه المعاني صحيحة والآية تشملها وتدل عليها.

وإظهار الفرح والسرور عند مقابلته، والعفو عن زلّاته، وتجنّب النَّظر إلى عوراته، وعدم التسبّب له بأيّ ضيقٍ أو حرجٍ، وحفظ بيته حين غيابه عنه، وعدم الإنصات لِما يُقال عنه بالسوء، وغضّ البصر عن محارِمه، والعطف على أولاده، وتعليم جاره ما يتعلّق بأمور دِينه، وتقديم النَّصيحة له، وتحمّله والصَّبْر عليه، وعدم إزعاجه، وحفظ سرّه، وعدم إزعاجه .والحفاظ على شرف جاره، والابتعاد عن كلّ ما يُسيء إليه، ويضرّه، وصيانة عِرضه. (١)

أكدت الشريعة الإسلامية أن الجار له حقٌ عظيمٌ في الإسلام، وفصلت حقوقه في أمور كثيرة، أبرزها .الإحسان إليه قَولًا وفعلًا. وحمايته وتأمينه .وردُّ الغيبةِ عنه. وحفظ سره ومشاركته أفراحه ومواساته في مصائبه وأحزانه وتلبية دعوته زيارته في الظروف الطبيعية وعيادته في حالة المرض ومنع الأذى عنه بِجَميع صُوره .ومُساعدته في حل مشاكله والسعي في الإصلاح بين الجيران المتخاصمين.

(١)ندا أبو أحمد (٢-٧-٢٠١٢)، "حقوق الجار"، www.alukah.net، اطّلع عليه بتاريخ ١٦-٧-٢٠٢٠. بتصرّف.

المبحث السابع

هداية الالتزام بالمعاهدات في تحقيق التعايش السلمي

الوفاء بالعهد من وصايا الله تعالى لعباده، وهي أعظم الوصايا وأنفعها في التعايش السلمي، ويقصد به "الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه"، ويشترك الوعد والعهد بأن كلاً منهما إخبارٌ بأمرٍ جزم المخبر بأن يفعله، ويفترقان بأن العهد يزيد على الوعد بالتوثيق الذي يقدمه صاحب العهد، والفرق بين الوفاء بالعهد والصدق هو أن الوفاء قد يكون بالفعل دون القول، ولكن الصدق لا يكون إلا في القول. (١) قال تعالى:﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

يُعدُّ الوفاء بالعهود شكلاً من أشكال التعايش السلمى و ترسيخ الثقة والتعاون بين المجتمعات ككل، وبين الأفراد فيما بينهم، فكلما كانت تلك الثقة مترسخة بجذورها في المجتمع ساد التآلف والمحبة، وشيوع ثقافة التسامح بين أفرادها، وفي حالة فقدان الثقة والتعاون يتهدم المجتمع وتنعدم فيه الإنسانية، لهذا نرى أن كثيرا من هدايات القرآن الكريم تنص على الالتزام بالمعاهدات، وعدم النكث فيها، لأنها الضمانة الأكيدة لاستمرار المجتمعات الإنسانية في حالة البناء الإنساني القويم، لأن النكث فيها يؤدي بتلك المجتمعات إلى الضعف والتشتت والانكسار.

والعهد عهدان: عهد مع الله تعالى، وعهد مع خلقه، فعهد الله تعالى عبادته وحده لا شريك له، وإقامة دينه. ومن أدى ذلك وفى –ولا بد– بعهد الخلق؛ لأن عهد الخلق له تعلق بحق الله تعالى من جهة أنه حقوق للعباد بعضهم على بعض أوجبها الله تعالى، أو عهد فرضه الإنسان على نفسه فوجب عليه الوفاء به طاعة لله تعالى الذي أمر بإيفاء العهود والمواثيق،

---

(١)علوي السقاف، موسوعة الأخلاق الإسلامية، صفحة ٩١-١٠٠.

(٢)الأنعام:الآية ١٥٢

وحرم نقضها. قال تعالى:﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١)

فالوفاء بالعهد والوعد في التعايش السلمي سببٌ لمحبة الله، فقد أثبت الله محبته للمتقين الذين يوفون بعهدهم، والمستقيمين على عهودهم ومواثيقهم حتى مع أعدائهم، ويشير تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿فَمَا استَقَاموا لَكُم فَاستَقيموا لَهُم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المتَّقينَ﴾ (٢) وسبب لتكفير السيئات ودخول الجنة: كما في قوله تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، (٣) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن حسن العهد من الإيمان".(٤)

والوفاء بالوعد والعهد هو أساس بناء الثقة بين الناس: حيث إن الناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة الوفاء، وانعدام الوفاء هو سببٌ لتنافر القلوب وانعدام الثقة بين الناس، بينما الوفاء بالوعود هو سبب لحصول الأمن في الدنيا وصيانة الدماء. والوفاء بعهد الله يكسب الإنسان التقوى، ويتضح ذلك في قول الله عز وجل: ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ، (٥) وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. (٦)

---

(١)النحل:الآية ٩١

(٢)سورة التوبة، الآية:٧

(٣)سورة البقرة، الآية:٤٠

(٤) صحيح الترغيب والترهيب ،للألبانى حديث صحيح ٤٢٤/١

(٥)النحل، الآية:٩١

(٦) ال عمران، الآية:٧٦

وعن أنس بن مالك قال: "ما خطبنا نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"(١)

كما تبين الهدايات القرآنية أن من ينقض العهد تنتفى عنده صفة الإيمان ، وقد وردت آياتٌ كثيرةٌ تنفي الإيمان عن الناقضين لعهدهم، وفي المقابل وصف الله سبحانه وتعالى الموفين بعهدهم ومواثيقهم بالإيمان، فإذا وفَّى العباد بعهد الله تعالى فالله سبحانه أكثر وفاء منهم، وأجزل عطاء وجزاء على وفائهم، فكان عهد الوافين معه سبحانه أربح عهد، وأعظمه فلاحا وفوزا في الدنيا وفي الآخرة ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢).

وناكث عهده لا يضر إلا نفسه ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .(٣)

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. (٤) ونقض العهد ونقض الميثاق يؤدي إلى سوء السلوك والأخلاق، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٥) فترتب على نقضهم للميثاق: (٦). الطرد من رحمة الله.

وجعل قلوبهم غليظة لا تؤثر فيها المواعظ، وهي من أعظم العقوبات على الأفراد. ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلام الذي أراده الله معنىً غير ما

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ،للألبانى حديث صحيح رقم ١٢٥٦٧.

(٢)التوبة:الآية ١١١

(٣) الفتح : الآية ١٠

(٤)سورة الحديد، الآية:٨

(٥)سورة المائدة، الآية:١٣

(٦)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ص ٢٢٥.

أراده. عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقض قوم العهد إلا سلَّط عليهم عدوَّهم" (١) ، وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر بالوفاء بالوعد والعهد، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلا تَقرَبوا مالَ اليَتيمِ إِلّا بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ حَتّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كانَ مَسئولًا﴾ (٢)

وقوله تعالى: وَأَوفوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كانَ مَسؤولًا،قال ابن كثير في تفسيره: (٣) ﴿وأوفوا بالعهد﴾ أي الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يُسأل صاحبه عنه. وقال السعدي في تفسيره :(٤) ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ أي: مسئولين عن الوفاء به وعدمه، فإن وفيتم فلكم الثواب الجزيل، وإن لم تفوا فعليكم الإثم العظيم .

(١)سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ٢١٩/١ وقال إسناده صحيح.

(٢)الأنعام : الآية ١٥٢.

(٣)تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢/ ٤٣٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ٢٠٠٢م، صفحة ٢٢٥.

الخاتمة

في ختام مباحث هذه الهدايات القرآنية التي عشتها مع كتاب الله العزيز، وهى تدلنا على سبل التعايش السلمي، التي تجعل الناس بمختلف أجناسهم وعقائدهم يعيشون في أمن وسلام، ويتفيؤون ظلال الكرامة والاحترام **ويمارسون** حرية الاعتقاد وحسن المعاملة وحماية الأنفس وحوار التسامح والعدالة وحسن الجوار والالتزام والوفاء بالمعاهدات.

توصلت إلى النتائج التالية:

١. ركز القرآن الكريم – باعتباره كتاب هداية في المقام الأول – على أهمية التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد.

٢. أن مصطلح التعايش يتمحور حول معنى الحياة والمودة والألفة، ونعته بالسلمي وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام.

٣. حرية العقيدة وعدم الإكراه مبدأ راسخ في الاسلام، وأساس من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم.

٤. بالحوار والتسامح تيسر سبل التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات.

٥. للتعايش السلمي في القرآن الكريم مظاهر جلية، سواء بين المسلمين في مجتمعهم، أوبينهم وبين غيرهم في المجتمع الإسلامي، أو مع غيرهم من المجتمعات الأخرى.

٦. تعتبر حسن المعاملة وحماية الأنفس وحسن الجوار والالتزام والوفاء بالمعاهدات من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

١- الآنا والأخر من منظور قرآني.السيد عمر ، دار الفكر، سوريا- ٢٠٠٨م

٢- أسس التعليم السلمي في الإسلام ومرتكزاته"، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، رابطة العالم الإسلامي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بجمهورية سيرلانكا .

٣- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد الزبيدى،تحقيق مجموعة من العلماءطبعة دار الهداية ،القاهرة (د.ت)

٤-التسامح من ملامح الوسطية في الإسلام ،إصدارات الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف،بأبى ظبى ٢٠٠٩م

٦-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ،تحقيق سامى محمد سلامة، ط٢ ،مكة المكرمة ،دار طيبة للنشر ١٩٩٩م،

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ٢٠٠٢م

٩-الجامع لأحكام القرآن- القرطبى ، تحقيق سمير البخاري- دار عالم الكتب السعودية - ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

١٠-الحقوق الدولية العامة:فؤاد شباط، مطبعة جامعة دمشق- ١٩٦٢م

١٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت:.١٤١٥هـ،

١٣-صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ ، مراجعة وضبط وفهرسة محمد علي القطب وهشام البخاري، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م المكتبة العصرية صيدا بيروت .

١٤-صحيح مسلم ،مسلم بن الحجاج القرشي النيسابوري ت ٢٦١هـ ، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٥-عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العينى - أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) — بيروت(د.ت)

١٦-فتح الباري، ابن حجر العسقلانى، دار الفكر، بيروت، سنة١٩٩٦م،

١٧-فقه التعايش في السيرة النبوية- مصطفى (حسن علي): المركز الإسلامي الثقافي ط١- ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

١٨-لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م،

١٩-مختار الصحاح محمد بن أبى بكر الرازى طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٩م.

٢٠-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع (د.ت)

٢١-المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة لشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ) الناشر دار الفكر — بيروت ، ١٤٠٥هـ

٢٢-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت)،

٢٣-مفهوم التعايش في الاسلام ،عباس الجراري ص٢٧، مقال منشور بمجلة الاسلام اليوم العدد ١٤ لعام ٢٠١٧م مجلة تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافةإيسكو.

٢٤-مقاصد الشريعة الإسلامية ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)،تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة،الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٢٥-مقومات السّلم وقضايا العصر- الطيّار (علي عبد الرحمن): مركز النشر الدّولي- ط١- ١٤١٩هـ- الرّياض

٢٦-موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (الطبعة الأولى)، سوريا: دار النوادر٢٠١٠م،

٢٧-الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، صبحي أحمد الكيسي الجامعة العراقية كلية أصول الدين ، عبد الله حسن حمد الحديثي الخادمة العربية كلية الأداب .